مدينة الزبير: جدل الهوية –دراسة ثقافية–

أ.د. قيس ناصر راهي
مركز دراسات البصرة والخليج العربي / جامعة البصرة
Email: qais.rahai@uobasrah.edu.iq

الملخص

للخطاب تتناول هذه الدراسة مدينة الزبير من منظور الدراسات الثقافية، محللةً التحولات المعقدة في هوية المدينة عبر أكثر من أربعة قرون، وتطرح سؤالاً محورياً: كيف تشكلت هوية مدينة الزبير في ظل الهجرات المتعاقبة والتحولات السياسية والاقتصادية؟ وذلك بالإفادة من أدوات التحليل الثقافي، وتستكشف الدراسة كيف شكّلت الهجرة النجدية–النجادة– في القرن السادس عشر ميلادي نواة الهوية الثقافية للمدينة؟ وكيف تطورت عبر مراحل تاريخية شملت الحكم العثماني والاحتلال البريطاني والدولة العراقية الحديثة؟ وتحلل الدراسة الصراعات الثقافية والتحولات الديموغرافية الجذرية في النصف الثاني من القرن العشرين، وتعتمد على مفاهيم نظرية من حقل الدراسات الثقافية، وتخلص إلى أن هوية الزبير ليست معطىً ثابتاً، بل نتاج تفاوض مستمر، وأن التحولات الديموغرافية أدت إلى تفكك الهابيتوس النجدي وظهور هوية للمدينة متعددة الأطياف.

الكلمات المفتاحية : مدينة الزبير، الدراسات الثقافية، النجادة، سياسة الهوية.

Al-Zubair City: The argument of Identity - A Cultural Study

Prof. Dr. Qais Nasir Rahai
Basrah and Arab Gulf Studies Center / University of Basrah
Email: qais.rahai@uobasrah.edu.iq

Abstract

This study examines Zubair from a cultural studies perspective, analyzing complex identity transformations over four centuries. Its main question is: How was Zubair's identity shaped amid successive migrations and political-economic transformations? Using cultural analysis tools, the study explores how sixteenth-century Najdi migration formed the city's cultural identity core, evolving through Ottoman rule, British occupation, and the modern Iraqi state. It analyzes cultural-sectarian conflicts, 1920s separatist attempts, and radical demographic transformations in the twentieth century's second half. The study employs theoretical concepts from Pierre Bourdieu (habitus, symbolic violence),). It concludes that Zubair's identity is not fixed but continuously negotiated, and that demographic transformations led to the Najdi habitus's disintegration and emergence of a multi-spectrum city identity.

Keywords: Zubair City ,Cultural Studies, Identity, Najada Politics of Identity.

المقدمة

من نافل القول إنّ مدينة الزبير من المدن العديدة، التي لم يهتم بدراستها من منظور الهوية وفق الدراسات الثقافية، ولاسيما في عالمنا العربي، إذ يعتمد هذا النوع من الدراسات التحليل الثقافي لجوانب نظرية وأخرى عملية، نظرياً، لأنها متعددة التخصصات وتعتمد التاريخ، والانثروبولوجيا، والاجتماع، والنظرية السياسية، والفلسفة. وعملياً– أي الدراسات الثقافية– تهتم برصد الواقع وتحولاته فضلاً عن صراعاته السياسية.

ومدينة الزبير، هي المدينة الوحيدة –ربما– التي هجرها مؤسسوها بالكامل وهم النجادة–نسبة إلى مدينة نجد–، وسكنها مهاجرون جدد، بل إنها واحدة من أكثر مدن البصرة، التي يتوافد إليها المهاجرون من مدن عراقية مختلفة. كل هذا يدعو إلى دراسة هويتها على وفق مُتغير الهجرات إليها، فهل تمتلك المدينة هوية خاصة بها؟ وهل تساهم تلك الهوية بتشكيل هوية من يسكنها، أم أن الأخير يفرض هويته عليها؟ وما مدى حضور هوية النجادة– على وجه الخصوص– في الزبير؟ وما مدى حضور الهوية الخليجية– على وجه العموم– في الزبير؟ كل هذه الأسئلة وغيرها هي موضوع لمشكلة البحث. وبناءً على ما تقدم، تهدف الدراسة إلى تحليل البعد الثقافي للمدينة من منظور جدل الهوية، وهو مجال حديث نسبياً، يهتم به بعض الباحثين في الدراسات الغربية من أجل دراسة المدن وتحولاتها المعاصرة.

ومن الجدير بالذكر، إن سؤال الهوية لم يغب عن البحث الثقافي، بل يمكن عده واحداً من اهتماماته، إلا إن الذي اختلف هو تحولات البحث بالهوية، نتيجة لتغيّر معنى الموضوع، فبعد أن كان سؤال الهوية جزءاً من البحث في الجوهر أصبح ينتمي إلى القول بالمظهر، وبعد أن كان سؤال الهوية يقترن بالفرد أصبح مرتبطاً بالجماعة، وهذا الأمر يدل على مواكبة التغيرات المحيطة بالسياق الثقافي وعدم انفصاله عن الواقع الذي ينتمي له، فضلاً عن ذلك، يحتل البحث في الهوية مكانة مركزية في الدراسات السياسية المعاصرة .

إنّ لمدينة الزبير حضورا دينيا في ثقافة بعض المكونات العراقية، فهي تضم أضرحة ومساجد ومقابر قديمة، مثل، أضرحة: الزبير بن العوام، والحسن البصري، ورابعة العدوية، وابن سيرين وغيرهم. وعمل العثمانيون على بناء مسجد بجوار قبر الزبير بن العوام سنة ٩٥٣هـ، وهذا الأمر من العوامل التي ساهمت بتأسيس المدينة، فضلاً عن هجرة النجادة إليها، الذين شكلوا هوية مدينة الزبير في مرحلة تأسيسها الحديث .

وفي الإطار المعرفي للبحث يمكن تقديم تمهيد مختصر له، عبر الإشارة إلى أنّ الدراسات الثقافية تعتبر الجانب الأكاديمي لسياسة الهوية، لكن جرى شطرها إلى ناحيتين: واحدة اصطفت مع الهويات

الهامشية أو التابعة، والأخرى فهمت الهويات كأشكال من القيد والقسوة، أو حتى كجزء من البنية الاجتماعية للسيطرة [١] .

وتجمعت الدراسات الثقافية حول أربع مجموعات رئيسة من المعاني، هي: مجال متعدد التخصصات، وتدخل سياسي في التخصصات القائمة، وتخصص جديد تماماً مُعرَّف من حيث موضوع جديد، وأخيراً، كتخصص جديد مُعرَّف من حيث نموذج نظري جديد[٢] وفُهمت الدراسات الثقافية كمجال بحثي متعدد التخصصات للدراسات العليا، ويستقطب باحثين تلقوا تدريباً في العلوم الاجتماعية والتاريخ وعلم النفس والأنثروبولوجيا والدراسات الأدبية والفلسفة. وكما أكد ستيوارت هول: "الدراسات الثقافية تشكل خطاباً بالمعنى الفوكوي–نسبة إلى ميشيل فوكو– ، ليس لها أصول بسيطة، وإن كان بعض منا حاضراً في نقطة معينة حينما أطلقت على نفسها هذه التسمية"[٣] ويمكن فهم مجال الدراسات الثقافية على أنه حقل بحث متعدد التخصصات أو ما بعد التخصصات، يستكشف إنتاج وغرس الثقافة أو خرائط المعنى[٤].

اليوم، يتركز جزء كبير من أعمال الدراسات الثقافية على مسألة كيفية بناء العالم اجتماعياً، ولا سيما ما يتعلق بموضوعي الاختلاف والهوية. وعلى هذا النحو، يمكن فهم المحور الرئيس للدراسات الثقافية على أنه استكشاف للثقافة، بوصفها مُكوَّنة من المعاني والتمثيلات التي تُنتجها الممارسات الدلالية البشرية، والسياق الذي تحدث فيه، مع اهتمام خاص بعلاقات القوة والنتائج السياسية المتأصلة في هذه الممارسات الثقافية[٥].

ومن ثمّ، تنتمي هذه الدراسة لحقل الدراسات الثقافية متعدد التخصصات الذي يستكشف إنتاج الثقافة وعلاقات السلطة[٦]، وتستند على:

١. الهابيتوس والعنف الرمزي كبنى معرفية مشكلة اجتماعياً، والعنف الرمزي كآلية لفرض المعاني الثقافية[٧] .
٢. إنتاج المكان للممارسات الاجتماعية[٨] .
٣. الهوية كعملية مستمرة من الصيرورة [٩] .
٤. سياسة الهوية وهو حقل له حضوره في الدراسات الفلسفية والسياسية المعاصرة .

أولاً– تأسيس مدينة الزبير والهجرة النجدية

أ– تأسيس المدينة

يحمل موقع الزبير طبقات متعددة من الذاكرة الثقافية، وعُثر على كتابات قديمة تحمل اسم أريسونوي(Arisenoi) ، أسماء قبائل قديمة اندثرت[١٠] كما تُعرف تاريخياً باسم البصرة القديمة، وشهدت اندثاراً شبه كامل قبل إعادة البناء في القرن السادس عشر. وعلى وفق نيبور الذي زار المنطقة

في القرن الثامن عشر، بدأت إعادة الإعمار قرب ضريح الزبير بن العوام قبل زيارته لها بـ٣٠–٤٠ سنة، وتحول الاسم من البصرة إلى الزبير قبل زيارته بثماني إلى عشر سنوات[١١] هذا التحول يعكس إعادة إنتاج الهوية المكانية عبر الربط بالرموز الدينية، متماشياً مع نظرية انتاج المكان للممارسات الاجتماعية[١٢]، فمدينة الزبير ليست مكاناً جغرافياً فحسب، بل هي نص مفتوح انتقلت من اريسونوي القبائل المندثرة إلى البصرة القديمة إلى الزبير التي أسسها النجادة إلى المدينة الراهنة، كل ذلك يشير إلى أن كل ثقافة تمحو سابقتها، لكنها تبقى على أثر ما، والواضح من خلال ذاكرة المدينة إنها ارتبطت حديثاً بالذاكرة الدينية المتمثلة برمزية قبر الزبير بن العوام قبل أن تتحول إلى الذاكرة الاقتصادية –راهناً (النفط والزراعة والموانئ)– في سياق إعادة انتاج المعنى الخاص بالمدينة وفق المرحلة التي تنتمي إليها .

ب– الهجرة النجدية

تمثل الهجرة النجدية لحظة حاسمة في تشكيل الهوية الثقافية لمدينة الزبير، فالمهاجرون الأوائل كانوا من السنة الذين طُردوا من نجد على يد محمد بن عبد الوهاب على وفق رأي نيبور[١٣]، والمفارقة أن ذويهم قبل ذلك آووا ابن عبد الوهاب بعد طرده من البصرة، لكن بعد نجاح حركته، طردهم فهاجروا للزبير. ولم يكن المهاجرون من النجادة لاجئين سلبيين، بل فاعلين ثقافيين أعادوا إنتاج هويتهم عبر بناء المساجد والمؤسسات التعليمية، متوافقاً مع القول بإمكانية أن تنتج الجماعات المهاجرة ثقافات هجينة، إذ كانت مدينة الزبير قبل وصولهم إليها شبه قرية صغيرة وفي حالة بدائية بسيطة لم يشيد فيها من الدور غير القليل ومهددة من البدو.

وهنا ينبغي الإشارة إلى دهاء يحيى الزهير في بناء مدينة الزبير وخطابه المُقنع مع الوالي العثماني سليمان باشا حول أهمية موقعها الجغرافي، وما سيكون للمدينة من شأن مستقبلي، فضلاً عن أنها ممكن أن تكون ملجئاً لأهالي نجد المضطهدين، فأصغى الوالي العثماني، وقرر تخصيص المال لتحصين المدينة، وزوده بمدافع وكمية كبيرة من الاسلحة لتوزيعها على الاهالي، فشيد السور سنة ١٧٩٧م، الموافق ١٢١١هـ، وقد عينت الدولة العثمانية رواتبا لأهالي الزبير[١٤]. ولما قدم اليها النجادة واستقروا بها أخذت بالتطور شيئاً فشيئاً[١٥].

وهنالك أسباب اخرى مرتبطة بالهجرة إلى الزبير من نجد بعضها مُعلن مثل الفقر والبحث عن فرص العمل لكن المسكوت عنه هو الاسباب العقائدية والصراعات على الرغم ان محمد بن عبد الوهاب فقهيا وعقائديا يقترب من النجادة، الا ان الاختلاف بينهم كان سياسيا عقائديا، وهذا ما يذهب اليه أحد الباحثين الذي اشار إلى أن العاملين الأمني والسياسي هما أكثر أهمية، وذلك نتيجة لسنوات الصراع السياسي على الحكم ما بين الأسر الحاكمة من أجل السيطرة[١٦]، فمن ناحية عقائدية نعم

لديهم مشتركات إذ أنهم سكنوا بالقرب من قبر الزبير بن العوام، لكنهم بنوا مسجد النجادة، لإقامة الصلاة فيه جماعة وجمعة، وهذا ما يدل على توافق عقيدتهم مع عقيدة محمد بن عبد الوهاب [١٧] التي يتبعوها حكام نجد حينذاك.

وإن الاختلافات السياسية كانت ماثلة حتى بعد هجرتهم إلى الزبير، إذ تذكر كتب التاريخ محاصرة قوات سعود بن عبد العزيز لمدينة الزبير وهدمهم جميع القباب والقبور التي تقع خارج سور المدينة، وقد حشد بن عبد العزيز اتباعه على قصر الدريهمية فهدموه وقتلوا أهله، حصد جميع زرعهم ثم رجع الى بلده وكان شيخ الزبير آنذاك ابراهيم بن ثاقب وفي سنة١٢٢٠هـ[١٨]. وفي هذا السياق رغم طبيعة البداوة ولا سيما البحث عن الغنائم في حروبها، إلا أن هذا الحصار يفهم في سياق من يحتكر تمثيل العقيدة، لا على العقيدة ذاتها، إنما حرب رموز أكثر منها حرب أفكار وحرب رموز لأنها مرتبطة بالأضرحة وقباب المدينة .

ويُؤرخ التأسيس الرسمي للزبير بسنة ٩٧٩هـ (١٥٧١-١٥٧٢م)، عندما أمر السلطان سليم الثاني ببناء مسجد على ضريح الزبير بن العوام[١٩]، وبعد استقرار النجديين، أُسسوا جامع النجادة سنة ١٠٠٦هـ (١٥٩٧-١٥٩٨م) [٢٠] وهذا البناء المؤسسي يعكس رغبة المهاجرين في تأكيد حضورهم الثقافي وإنتاج طوبوغرافيا مقدسة خاصة .

وفي السياق الجغرافي تحتل مدينة الزبير موقعاً فريداً بين الصحراء وأرض السواد، بين الخليج والعراق، على الطريق التجاري من الخليج لحلب، وامتهن النجديون التجارة والزراعة، ونشط في الزبير سوقاً نشطة لتهريب البضائع، ينزل التجار الراغبون في تجنب كمارك البصرة بضائعهم في الكويت عادة ومن هناك وبعد أن يدفعوا لشيخ الكويت ضريبة مقدارها ٢ % ينقلوها إلى الزبير التي يقوم سكانها بعد ذلك بتهريبها إلى جميع أنحاء العراق[٢١].

هذا الموقع الحدودي جعلها محطة أولى للكويت ونجد، وفي الدراسات الثقافية، المناطق الحدودية فضاءات لإنتاج الهويات الهجينة حيث تتلاقى وتتصارع أنظمة مختلفة من المعنى.

ثانياً- الهابيتوس النجدي والممارسات الثقافية

إن الهوية النجدية لم تكن فكرة مجردة بل كانت طريقة في العيش: كيف تأكل؟ كيف تلبس؟ كيف تتعلم؟ ويمكن فهم ذلك، عبر الهابيتوس وهو مفهوم له مكانة في الفلسفة العملية لبورديو لأنها تتخذه الحافز الاساس للنشاط الانساني مهما كان الشكل الذي تغطيه ممارساتنا سواء تعلق الامر بالإدراك أو الاعتراف أو التخيل أو التذكر فان تحديدها يقوم على الاستعدادات (منافع مواقف أذواق ورغبات) [٢٢] .

وقد حافظت الزبير على خصوصية ثقافية ودينية ميزتها عن محيطها، فحينما استقر المهاجرون أصبحت البلدة بلدتهم، فأقاموا عليها مشيختهم وصاروا المتصرفين فيها، كما أصبح لهم كيانهم الاجتماعي ذو الخصائص المستقلة[٢٣] .

وفي السياق النجدي تتميز الزبير في الثقافة والدين ولديها عاداتها وتراثها، ويتبع أهلها المذهب الحنبلي في الفقه[٢٤]، وميّز باحثان بين ثلاث فئات هاجرت إلى الزبير من منطلق سياسة التمييز، وهذه الفئات، هي: أهل الزبير (المنحدرون من نجد)، سكان الزبير (من اتخذها سكناً)، ونفوس الزبير (كل من دبّ عليها) [٢٥] وهذا التقسيم لا يمكن اعتباره مجرد تصنيف احصائي بل هو هرمية رمزية قاسية، لأنها طريقة عبّر عنها الباحثان النجديان وبشكل ناعم بأنهم الأصل والآخر المختلف أو أنه– الآخر– مجرد رقم في المدينة، وفق منطق إقصائي فالمهاجرون (النجادة) الذين كانوا هم أنفسهم مهجرّين من نجد، يُعيدون منطق الاقصاء ضد المهاجرين الجدد .

ووفق الهابيتوس حتى الملابس مدخل مهم لفهم تشكيل الهوية، فالنجادة يرتدون في الصيف الثياب البيضاء الخفيفة الفضفاضة، ويغطون رؤوسهم بالكوفية البيضاء (الغتر) [٢٦] . وهذا التمايز ليس جمالياً فقط، بل يمثل (سياسات الهوية البصرية) اللون الأبيض الموحّد للنجادة يعكس تماسكهم الثقافي ووحدتهم الرمزية، في اشارة إلى أن من ينظر الى شخص في الشارع يعرف فوراً من هو قبل أن يتكلم.

وفي سياق عادات الاعياد، اعتاد النجادة صنع طعام خاص للعيد وذلك في صبيحة اليوم الأول منه، فبعد عودتهم من صلاة العيد مباشرة يخرجون بالطعام على الشوارع والطرقات على شكل جماعات ويجلسون على الأرض جميعاً لا فرق بين كبيرهم وصغيرهم غنيهم أو فقيرهم. يأكلون جميعاً وعند الفراغ من الاكل، يوزع باقي الطعام على الفقراء، وأغلب الفقراء عادة يكونون من البدو المقيمين حول المدينة. وقد اعتادوا أن يكون طعام العيد من الأرز واللحم، او الدجاج مع الأرز، ويعتنون بطهي طعام العيد عناية خاصة، وبعد تناول الطعام يعود كل فرد الى منزله، وجرت العادة في مراسم العيد أن يزور كل فرد اقاربه واصدقاءه في العيد، كما تفتح المجالس ابوابها [٢٧].

والتقت في الزبير طبائع البداوة والمدينة من دون سلبياتها، وتكشف طقوس العيد لدى النجادة مجموعة من الحقائق المتعلقة بـ آليات إعادة إنتاج الثقافة النجدية، فالممارسة التي تقضي بالخروج بالطعام على الشوارع والطرقات على شكل جماعات ولا فرق بين كبيرهم وصغيرهم غنيهم أو فقيرهم تعكس قيم المساواة والتكافل الاجتماعي، حيث تذوب الفروق الطبقية مؤقتاً لصالح الهوية المشتركة، وتوزيع الطعام على الفقراء يكشف عن آليات الهيمنة الثقافية الناعمة، حيث تعزز المكانة الاجتماعية للنجادة عبر ممارسات الكرم، وهذه العادة بقيت في مدينة الزبير إلى اليوم حتى بعد هجرة النجادة ما يعني أنها تحوّلت من ممارسة نجدية إلى تراث مديني زبيري، والهوية هنا انتقلت من حاملها الى المكان

نفسه (الزبير) التي اعترفت بثقافة النجادة وجعلتها جزءاً من ذاكرتها، حتى يُلاحظ أن الطعام يُطبخ نفسه في الاعياد الدجاج والرز أو اللحم والرز، على العكس من بعض مدن البصرة الأخرى التي تفطر صباح العيد على نوع خاص من أكلات السمك يسمى (مسموطة) .

أما المؤسسات التعليمية الدينية فقد شكلت خاصة –مدرسة الدويحس (١١٨٥هـ)–، مساحات لإنتاج المعرفة المحلية ونقل التراث الثقافي[٢٨] وهذه ليست أوصاف ثقافية بل من اطلع على تاريخها يجد أنها برامج ثقافية شاملة، إذ كانت الزبير تُسمى الشام الصغير لكثرة العلماء فيها، ويقال قبل ١٣٠٠هـ يوجد فيها أكثر من مائة عالم كلهم من علماء المذهب الحنبلي[٢٩] كشكل من أشكال الاستثمار في رأس المال الرمزي .

ومع التعليم النظامي، تأسست أول مدرسة نظامية عام ١٩٠٣م في بيت علي باشا الزهير، وكانت اللغة العثمانية إحدى موادها[٣٠] ثم مدرسة النجاة الأهلية عام ١٩٢٣ م [٣١] وهذا يُظهر كيف تمكنت النخبة من خلق مؤسسات تعليمية هجينة تجمع بين التراث والحداثة كاستراتيجية لتشكيل هوية ثقافية خاصة بهم وانتقلت معهم حتى بعد هجرتهم الثانية وعودتهم الى نجد، الذين اصبحوا يسمون هناك بالزبارة وما يميزهم هو تعليمهم وثقافتهم التي اكتسبوها من مدينة الزبير بشكل خاص والبصرة والعراق بشكل عام، فالنجادة هاجروا من نجد الى الزبير، تعلموا وتثقفوا ثم غادروا الى نجد واصبحوا (الزبارة)، متميزين بالتعليم والثقافة والهوية هنا لم تعد جغرافية (نجديين) بل تشكيلية(زبيريين) هم شكلوها لأنفسهم، والزبير كمدينة كانت لهم كورشة لإعادة تشكيل الذات الجماعية .

ثالثاً/ سياسة الهوية والصراعات

شكل البعد الاقتصادي عاملاً في تعزيز الاستقلالية، في أوائل القرن العشرين، كان عدد السكان في مدينة الزبير ستة آلاف نسمة أغلبهم موسرين[٣٢]، واستمر الازدهار حتى السبعينيات: ٤٤,٣% يعملون في شركات النفط، ١٨% في الخدمات، ٩,٣% تجار يمتلكون العقارات والمعامل والمزارع[٣٣]، وحتى تسعينيات القرن العشرين كانت تعيش الزبير حالة من توفر فرص العمل نتيجة وجود المزارع ولاسيما الخاصة بزراعة الطماطم، فضلاً عن قرب الشركات والمعامل والموانئ منها. هذا الازدهار عزز الشعور بالاستقلالية والقدرة على تشكيل كيان سياسي منفصل، وهو ما برز في المشروع الانفصالي في بداية القرن العشرين ومع الحصول على صلاحيات إدارية أوسع في ٢٠٢٥م عبر المطالبة بتحويل المدينة من قضاء الى محافظة –سياتي الحديث عنه لاحقاً في سياق البحث.

أ- في النزعة الانفصالية

في النزاع الانفصالي البصري عام ١٩٢١م، جاء المطلب بأن تُمنح الزبير استقلالها كإمارة، وأبرز الممثلين لذلك أحمد ناصر الصانع وعبد اللطيف المنديل، وهما من أصل نجدي ولدا في

الزبير[٣٤]، وتزعم المخطط الشيخ إبراهيم بن عبد الله، وطالب أن تكون الزبير إمارة مستقلة مثل الكويت، وأن تُطلق يده في الضرائب، وأن يكون مسؤولاً عن العلاقات الخارجية، وأن تكون له قوة أمنية[٣٥] .

وهنا من الضرورة بمكان الإشارة إلى حقيقة في غاية الاهمية، إن كل ما تقدم الحديث عنه حول الهجرة وتأسيس المدينة بالإمكان أن يفهم وفق بورديو محاولة لتحويل الرأسمال الثقافي والرمزي (الهوية النجدية) إلى رأسمال سياسي (الاستقلال)، كما يمكن قراءته كرفض لشكل من العنف الرمزي المتمثل في فرض الانتماء للعراق تحت الحكم البريطاني أو كشكل من رفض الانتماء للدولة العراقية، فالزبيريون هنا لسان حالهم نحن لسنا عراقيين نحن نجديون في المهجر.

واجه المشروع معارضة داخلية ترفض الضرائب والابتعاد عن البصرة، ومن جانب آخر، جماعة من النجادة لهم مصالح مع الدولة عارضت الانفصال، منهم سليمان الزهير. وفي نيسان ١٩٢١م، طُلب من الشيخ إبراهيم السفر إلى بغداد وانتهت المناقشات بطرده ونفيه للكويت، ثم جاءت عائلة باش أعيان وأحكمت نفوذها في رفض الانفصال، وساندتها جماعة من الشيعة في فرض وحدة العراق[٣٦]. وهذا الانقسام يؤكد أن الهوية ليست ثابتة بل قابلة للتفاوض وفي الوقت نفسه، يظهر الشرخ الحقيقي، فالنجادة انفسهم منقسمون جماعة تريد الاستقلال وجماعة اخرى رافضة، مما يكشف أن الهوية الثقافية لا تنتج بالضرورة موقفاً سياسياً موحداً، فحلم الدولة أو الانفصال أصعب بكثير من بناء الهوية، ويمكنك أن تبني ثقافة متميزة لكن تحويلها إلى موقف سياسي موحد يتطلب أكثر من الوعي الذاتي وتحقيق المكاسب الاقتصادية .

أ- الصراعات والتفاوض الثقافي

لما استولى عيسى شيخ المنتفك على البصرة، قتل شيوخ آل الزهير، وأخذ أموالهم، وغصب أملاكهم، وجعل بيوتهم خاوية[٣٧]. وقد حدثت معركة بين آل الزهير وبني تميم الكنعان، حيث قام آل الزهير بذبح جميع أفراد عائلة الكنعان من تميم ولم يبق منهم سوى محمد بن تركي بن نايف بن نواف العمر وكان عمره يناهز ست سنوات ورجع الى حوطة بني تميم–المقر الاصلي للقبيلة–وبعد أن أصبح عمره عشر سنوات سافر مع أفراد قبيلته الى البصرة من أجل الثأر لأهله وبعد وصوله الزبير استقبلته عائلة السعدون زعماء قبيلة المنتفك الفالح وساعدوه بعدم تدخل الجيش العثماني في المعركة، ومنذ ذلك الوقت ولحد الآن علاقة الكنعان والسعدون علاقة وثيقة ومتماسكة، وقام محمد بن تركي بذبح أغلبية آل الزهير ولم يبق منهم إلا القليل واستقر في الزبير[٣٨]. مع تأكيد القول أن الباحث لم يجد ذكر لهذه الحادثة في مصادر اخرى سوى المصدر الذي رجع إليه، لكني وجدت من الأهمية ذكره لفهم الصراعات القديمة أو الجانب الآخر من هوية النجادة .

وكما مر سابقاً في ثنايا البحث أن سكنة الزبير هم من السنة وعلى مذهب أحمد بن حنبل[٣٩]. أما في منتصف القرن العشرين، ساهم السيد أمير محمد القزويني بصناعة الهوية الشيعية الاصولية في البصرة بشكل عام، ووصل نشاطه للزبير التي كانت تعيش صراع هويات بين هوية النجادة من السنة وهوية المهاجرين الجدد من الشيعة الذين بنوا أول مسجد لهم في اربعينيات القرن العشرين في مدينة الزبير وربما هذا الصراع يعد تمثيلاً واضحاً للعنف الرمزي، فبناء المسجد الشيعي كان محاولة لكسر احتكار النجادة للفضاء الديني، مع تزايد الهجرات المختلفة عن مذهب سكنة المدينة الذين هم مهاجرون اليها ايضاً، عبر ما يمكن تسميته بالتفاوض الثقافي الذي عكس إمكانية إعادة التفاوض حول البنى الرمزية والثقافية، والتوصل إلى شكل من الاعتراف المتبادل .

ولحظة بناء مسجد الزهراء(عليها السلام) سنة ١٩٤٥ م أو كما يعرف بمسجد الحاج طوينه الصرايفي هو لحظة ثورية صامتة قادها أحد أبرز صانعي الهوية الشيعية في المدينة– الحاج طوينه– فالمسجد مثل انتاجا لفضاء شيعي من خلال أداء الصلاة وتقديم الموعظة الدينية وإحياء ذكرى عاشوراء كل ذلك ثبت الفضاء العام الشيعي للمدينة وجعله جزءاً لا يُمحى من خريطتها .

وساندت الظروف انتشار الفضاء الشيعي في المدينة، ولاسيما أنها تزامنت مع بدايات عمل السيد أمير محمد الكاظمي القزويني من خلال كونه عالماً من علماء الدين في البصرة، وعليه واجب ديني واجتماعي تجاه المجتمع البصري تفرضه عليه مهمته الدينية، ولاسيما بعد تصديه لذلك بعد وفاة والده السيد محمد مهدي، في نهاية عام ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م [٤٠]. وكلف أخوه السيد أمير علي السيد محمد مهدي القزويني الذي ولد في الكويت عام ١٩٢١، ودرس في حوزة النجف الأشرف، لأداء واجبه الديني تجاه أهالي مدينة الزبير، فأصبح إماماً لمسجد الحاج طوينة[٤١]. والملاحظ أن إمام المسجد قبل السيد أمير علي هو الميرزا محسن الفضلي، وكلاهما له علاقات طيبة مع الخليج، واختيارهما ساهم في تثبيت المذهب الشيعي في المدينة عبر التفاوض الثقافي، بالإفادة من ذهنية التاجر الحاج طوينة ومنهجية السادة القزويني ولاسيما ان السيد امير علي ارتكز بشكل كبير الى مكانة السيد أمير محمد القزويني الذي عُرف بحواراته ونقاشاته وشكّل مدرسة دينية متنقلة في البصرة.

وفي السياق التاريخي، ونتيجة لأحداث الحرب العالمية الثانية، تم اختيار منطقة الشعيبة لتموين الحرب من البريطانيين، وبذلك اصبحت المنطقة مكانا يقصده الناس للعمل والارتزاق، وهذا ما انعكس على مدينة الزبير[٤٢]. ويصف أحد الباحثين النجادة مجيء الاحسائيين– نسبة الى الاحساء– للزبير بالقول وفق لغة تعتمد سياسة التمييز بشكل واضح "تقوقعت على نفسها، فلم يختلطوا بغيرهم، واهل الزبير قد تركوهم معزولين يعملون في الحياكة وبعض الاعمال البسيطة، ثم هبطت جماعة من العمارة وكانوا مثل من سبقهم"[٤٣]. ويستمر الباحث النجدي بوصف الهجرات فيقول "وقبيل الحرب العالمية

الثانية هبطت بعض بيوتات من الجنوبات من ابي الخصيب، وهم اقرب الفة ووشيجة إلى أهل الزبير ممن عداهم"[٤٤] . وهنا التمييز ليس مكانياً إنما من منطلق طائفي لأن المهاجرين من الاحساء والناصرية والعمارة كانوا على المذهب الشيعي لهذا يُلاحظ إن الباحث النجدي قد مارس الازدراء على العكس من إشارته إلى بعض المهاجرين من مدن جنوب العراق الاخرى. وفي العقد الخامس من القرن العشرين جاءت جماعة من المنتفك، وسكنوا محلة العرب، بعد ان اعطتهم الحكومة جزءا منها [٤٥]. وعلى الرغم من ان المنتفك اقرب مذهبيا إلى النجادة إلا أنهم اقتربوا اجتماعيا من مهاجري الناصرية وسكنوا في مناطقهم في دلالة لها سياقات تاريخية ترتبط بالصراعات القديمة مع النجادة آل الزهير من جانب وإلى قربهم من العادات والتقاليد لمهاجري الناصرية لانهم من مكان واحد من جانب أخر.

رابعاً– التحولات الديموغرافية ونهاية الهابيتوس النجدي

مع الاحتلال البريطاني، شهدت الزبير تحولاً جذرياً، هاجر إليها سكان من الناصرية والعمارة وشمال البصرة، بحثاً عن عمل في المعسكرات البريطانية[٤٦]، ونشأت محلة "العرب" لاستيعاب المهاجرين، حيث بُنيت البيوت من الخشب والصفيح ثم الطين[٤٧]، ومن الجدير بالذكر ان تسمية "العرب" دونية تُستخدم للإشارة لل"مختلف"، وتقابلها "المعدان" في مدن أخرى هذا التصنيف اللغوي يكشف عن بنية هرمية ثقافية، حيث يُنظر للسكان الأصليين المهاجرين الاوائل (النجادة) بوصفهم حاملين للثقافة (الأصيلة)، بينما يُصنف المهاجرون المتأخرون كـ(آخر ثقافي). واستعمال مفردة العرب يعتبر سخرية لغوية قاسية عبر توظيف العنف اللغوي لإعادة رسم الحدود فحينما لا استطيع منع الآخر من دخول المدينة اعمل على تحقيره على الاقل.

وقد حدد أحد الباحثين عدة عوامل وراء موجات الهجرة في القرن العشرين الى الزبير[٤٨] :

١. الحاجة للأيدي العاملة لخدمة القاعدة البريطانية في الشعيبة .
٢. استثمار النفط في خمسينيات القرن العشرين وفر العديد من فرص العمل، مما ساهم في زيادة أسباب الهجرة الى المدينة.
٣. بناء الأرصفة الجديدة في ميناء أم قصر عام ١٩٦١م فضلا عن المخازن والدور السكنية لمنتسبي الموانئ .
٤. وجود المياه الجوفية، الهجرة العكسية من الزبير الى الكويت بعد استثمار النفط فيها سنة ١٩٤٦م، وهجرة معاكسة الى الزبير من الناصرية والعمارة.
٥. نشاط سكك الحديد ساعد على الهجرة .

وإذا نظرنا إلى هذه الهجرات من منظور الاقتصاد السياسي الثقافي نجد أنها كانت نتيجة لإعادة تشكيل الفضاء الاقتصادي العراقي، حيث أدت عملية استخراج النفط لخلق مراكز جذب جديدة، وأنتجت أشكالاً جديدة من التراتب الاجتماعي.

وشهدت الزبير نشوء محلات تعكس التراتب الاجتماعي:

- **محلة العرب** : سكنها المهاجرون من جنوب العراق [٤٩]
- **محلة الزهيرية** : سكنها المهاجرون من الأحساء [٥٠]
- **محلة المربد** : بُنيت ١٩٥٣ لإيواء العاملين في الشركات النفطية[٥١]

هذا التوزيع المكاني جملة ما يعكس التراتب الاجتماعي والاقتصادي والفصل المكاني، فنوعية البناء تكشف العلاقة بين المادية والرمزية، وفي الوقت نفسه، هنالك اختلاف لهجات بين المهاجرين من العمارة والناصرية عن لهجة النجادة، التي تُعد امتداداً للهجات الخليجية ومن منظور اللسانيات الاجتماعية، اللهجة علامة هوياتية تميز الجماعات، وتعمل كأداة للإقصاء أو الإدماج الاجتماعي، فاللهجة رأس مال رمزي يحدد موقع الفرد في التراتب الاجتماعي.

وقد تمثل نهاية الهابيتوس النجدي مع زيارة الملك سعود بن عبد العزيز عام ١٩٥٧م نقطة تحول، إذ مهدت للهجرة الثانية–العكسية–، حيث تم تشجيع سكان الزبير على العودة للسعودية لمن يثبت قرابته بمن هم موجودون فيها [٥٢] .

وقد مُنح النجديون المقيمون في العراق فرصة الحصول على الجنسية السعودية بتاريخ ٧–١٢–١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م، بعد التأكد من عدم وجود ملاحظات عليهم وثبوت كون الشخص أو أحد آبائه إلى الدرجة الرابعة ينتسب إلى أصل نجدي أو انه لم يصدر مرسوم ملكي بإسقاط الجنسية السعودية عنه[٥٣]، وهذا التاريخ يمثل نهاية رسمية للهابيتوس النجدي بطريقة الاسترجاع الانتقائي المبني على نقاء الدم والنسب بعيداً عن اي اعتبارات ثقافية وانسانية .

ويصف أحد الكُتّاب التحول الجذري: "أما اليوم، فالزبير ليست الزبير التي شاهدناها قبل خمسين عاماً، فقد تغير حالها تماماً" [٥٤] وحديثه هنا عن وصف لحظة هجرة الزبارة (النجادة) عند مطلع الستينات حتى نهاية الثمانينات، وتحولت المدينة التي فقدت مقومات المجتمع النجدي إلى مجتمع بصري متعدد الأطياف والرؤى. وفي هذا السياق الكاتب يرثي هوية النجادة بعد نهاية الهابيتوس متناسيا ان الزبير بطبيعتها ولمن يقرأ تاريخها يجد أن الجميع يمرون لا أحد يستمر كل موجة تمحو السابقة، فالذين هاجروا اليها بعد النجادة ايضاً –نسبة كبيرة منهم– هاجروها إلى مدن اخرى وجاء إليها مهاجرون آخرون، لان المدينة مرتبطة بالاقتصاد اكثر منه بالثقافة والاقتصاد له قوة لا يمكن انكارها في اعادة تشكيل المدن.

وباختصار، إن مدينة الزبير في الاحتلال العثماني سكنها النجادة، وبعد الاحتلال البريطاني هاجر اليها سكنة الناصرية والعمارة وشمال البصرة من القرنة ومن جنوب البصرة وبعد ستينيات القرن العشرين ولاسيما اثناء وبعد الحرب العراقية –الايرانية هاجر منها النجادة، وبعد الاجتياح العراقي للكويت سنة ١٩٩١م هاجر إليها نسبه كبيرة من العراقيين المقيمين سابقا في الكويت، وبعد ٢٠٠٣م والاحتلال الامريكي للعراق واسقاط نظام البعث حدثت هجرات اخرى من السماوة كذلك انتقل فلاحو مزارع الزبير الى مدينة الزبير .

وهذا التحول يطرح أسئلة عميقة حول طبيعة الهابيتوس واستمراريته، فإذا كان الهابيتوس بنية معرفية مُشكلّة اجتماعياً وطريقة عمل متجسدة في الممارسات اليومية، فماذا يحدث عندما يهاجر حاملوه؟ الإجابة من حالة الزبير: لا يمكن للهابيتوس أن يستمر دون الفاعلين الذين يعيدون إنتاجه يومياً.

خامساً– مطالب تحويل مدينة الزبير من قضاء الى محافظة

يُمثل مطلب ٢٠٢٥م بتحويل قضاء الزبير إلى محافظة مستقلة امتداداً تاريخياً لمحاولات سنوات سابقة بعد ٢٠٠٣م، لكن هذا المطلب يختلف عن مطالب الانفصال السابقة في سنة ١٩٢١م التي ذكرها البحث، فحينها كانت المحاولة مرتبطة بالهوية النجدية، أما المطلب الحالي يأتي في سياق مختلف تماماً، ويتسم بتحولات ديموغرافية جذرية وتهميش خدمي وإداري وفق رأي المطالبين. أي أن الاختلاف الثقافي هو المحرك لمطالب الانفصال في ١٩٢١م، أما في ٢٠٢٥م فالخدمات والتهميش هي مطالب التحول من قضاء إلى محافظة .

في ٢٥ آذار ٢٠٢٥م، وقّع نحو ٨٠ عضواً في مجلس النواب العراقي على طلب لاستحداث محافظة الزبير قدمه أحد نواب مجلس النواب العراقي عن البصرة–تحديداً عن مدينة الزبير–[٥٥] وعزا النواب السبب إلى مطابقة الزبير للمتطلبات الإدارية كافة، وكون عدد سكان القضاء قد تجاوز مليون و٤٠٠ ألف نسمة، ولوجود موارد نفطية وزراعية، ومنافذ حدودية وموانئ. وفي المقابل، صوّت مجلس محافظة البصرة بالإجماع على رفض مشروع تحويل قضاء الزبير إلى محافظة [٥٦]. كما وجه محافظ البصرة خطاباً يوضح فيه الآثار السلبية للقرار عبر تأكيد قضاء الزبير هو مركز البصرة القديم، والآثار فيه مرتبطة بتاريخ المدينة [٥٧]. ويرى بعضهم أن تقسيم البصرة خطأ كبير، كما تقف بعض الحركات المدنية ضد هذه التوجهات، خشية أن يأخذ هذا التقسيم أبعاداً سياسية[٥٨].

ومن منظور الدراسات الثقافية، تمثل هذه المطالبات شكلاً جديداً من سياسة الهوية في سياق معاصر، فبينما كانت محاولة ١٩٢١م محاولة للحفاظ على هوية نجدية متجانسة، فإن المطالبات الحالية تأتي من مجتمع متعدد الأطياف، وهذا التحول يطرح أسئلة عميقة حول علاقة الهوية بالمطالب السياسية،

فإذا كانت المطالبات السابقة تستند إلى خصوصية ثقافية نجدية واضحة، فعلى أي أساس هوياتي تستند المطالبات الحالية؟

إن المطالبات المعاصرة لا تستند إلى هوية ثقافية متجانسة، بل إلى شعور مشترك بالتهميش والحرمان، وهذا الشعور يجمع سكان الزبير من خلفيات متنوعة في مطلب واحد، وهنا، يمكن القول إن الهوية الزبيرية المعاصرة تتشكل ليس على أساس التراث الثقافي المشترك، بل على أساس التجربة المشتركة للإقصاء والتهميش، في مسألة المطالبة بالتحول الى محافظة على الاقل.

والملاحظ راهناً انه لا توجد هوية زبيرية موحدة، فاللهجات متعددة، مثل: خليجية، جنوبية عراقية – من الناصرية والعمارة والسماوة– وجنوبية بصرية – مرتبطة بلهجة جنوب البصرة–، والاصول من الناصرية والعمارة وشمال البصرة وجنوبها ومقيمون سابقا في الكويت، وسكنة مزارع هاجروا إلى المدينة، وطبقات اقتصادية مختلفة، لكنهم جميعا يشتركون بأن هنالك شعور بالابتعاد عن مركز القرار في البصرة، لكن هذه المطالب لا تبني مشروعاً لأنها ستنهار مع تحسن الخدمات أو تغير الظروف، ولا تبني مشروعاً مستقبلياً أي لا تنطلق من القول نحن هكذا نريد أن نكون بل نحن لا نريد أن نبقى هكذا؟ والمطالبة تفتقر الى الرؤية الاستراتيجية ماذا بعد الحصول على التحول الى محافظة؟

سادساً– تعقيب ثقافي على واقع مدينة الزبير من التسعينيات إلى اليوم

إن الاجتياح العراقي للكويت عام ١٩٩٠ م وما تلاه من حرب وحصار شكّل نقطة تحول ديموغرافية كبيرة للزبير، إذ حصلت هجرة من الكويت الى العراق مع العراقيين الذين كانوا يقيمون هناك، وهذه العودة القسرية حملت معها ثقافة هجينة عبر أفراد عاشوا في الكويت لعقود، اكتسبوا عادات خليجية، تكلموا بلهجات مُختلطة، ثم فُرض عليهم العودة إلى العراق.

والحصار الاقتصادي في تسعينيات القرن العشرين ساهم بصناعة بيئة اقتصادية مغايرة عن السابق (النفط والموانئ)، فالبيئة الجديدة اعتمدت الزراعة وازدادت مزارع الزبير وبدأت هجرة أخرى من المحافظات الجنوبية إلى مزارع الزبير من أجل العمل كفلاحين لكسب قوت عيالهم. مع ملاحظة جداً ضرورية وينبغي الاشارة إليها أن الهوية في التسعينيات ذابت في الحاجة، وتبخرت في قسوة الحصار بشكل ما، مع ظهور هوية ارتبطت بالدين لمقاومة ذلك الحصار بعضها مدعوم خليجيا عبر هوية دينية سلفية انتشرت بشكل واضح في المدينة وهذه الهوية تميزت بتوفير دعم مالي خليجي من أموال الزكاة وغيرها، وهوية اخرى انتشرت بفعل وعي ديني شيعي ساهم بتشكيله الشيخ محمد فلك المالكي والعديد من الشخصيات الدينية الاخرى .

وبعد سقوط نظام البعث عام ٢٠٠٣ كانت لحظة انفجار لكل البنى القديمة. فمدينة الزبير، مثل باقي المدن العراقية، تم اعادة تشكيلها واستعادت لحظاتها السابقة لكن من دون هابيتوس واحد سائد انما

مجموعة مختلفة، فأصبحت مدينة نفعية بامتياز، للموظفين والكسبة تعتبر مكاناً قريباً من الشركات النفطية التي استعادت حيويتها بقوة بعد ٢٠٠٣م وبالمقابل خسرت الزراعة مكانتها بعد أن كانت لها السيادة في التسعينيات والثمانينيات –في مدينة الزبير– مما دفع فلاحو المزارع الى هجرة أخرى، وهذه المرة إلى مركز مدينة الزبير ونواحيه، وظهرت أيضاً طبقة من التجار مرتبطة بدول الخليج واخرى لها استثمارات نفطية، وهنا لجأ الى المدينة العديد من المهاجرين الجدد من المحافظات العراقية بحثاً عن فرص العمل، كذلك العشائر حضرت بقوة في المدينة، واصبحت مدينة جغرافية اقتصادية .

والزبير اليوم ليست مجتمعاً واحداً، بل مجتمعات مختلفة، فالمهاجرون القدماء الى المدينة يختلفون نوعا ما عن المهاجرين الجدد في سياق عبر عنه أحد الباحثين بالقول: " كان هنالك تباعد اجتماعي ونفسي بين العرب الحضريين والعرب العشائريين. وكان هؤلاء وأولئك يختلفون بعضهم عن بعض بطرق كثيرة. فقد كانت حياة العرب الحضريين تخضع للعادات والتقاليد العشائرية القديمة المصبوغة بصبغة اسلامية" وهذا السياق تشترك فيه مدينة الزبير مع مدن عراقية أخرى(٥٩)

والمشكلة العميقة التي واجهت الباحث تتمثل بالإجابة عن سؤال ما الزبير اليوم؟ فهي ليست نجدية فالنجادة رحلوا عنها، وليست بصرية بحتة–مثلها مثل مدن مركز البصرة أو المدن الاخرى– فلها خصوصية جغرافية واقتصادية، حتى أن ساكني الزبير حينما يذهبون الى مركز مدينة البصرة يقولون ذاهبون إلى البصرة وهذه العبارة تحمل في طياتها شعورهم بالاختلاف عن مركز البصرة، والمدينة ليست عشائرية صرفة، إذ تحتوي الحضر والتجار والمثقفين، وليست وفق طائفة واضحة، إذ تحتوي سنة وشيعة بنسب متقاربة واتباع أديان اخرى بنسبة قليلة جداً. والفراغ الهوياتي هذا خطير، فالمدن تحتاج سردية عن نفسها، من نحن؟ ما تاريخنا؟ ما مشروعنا؟ والزبير فقدت السردية القديمة (المدينة النجدية المتميزة) ولم تُنتج سردية جديدة. هذا الفراغ ربما يحاول بعضهم ملئه من خلال (نحن مُهمّشون من البصرة) .

وفي المقابل من ذلك لفت انتباهي وجود مشروع ديني عابر للطوائف في الزبير قاده الشيخ محمد فلك المالكي وهو أحد علماء الدين البارزين في الزبير الذي كان له دور في صناعة وعي ديني شيعي في المدينة بدءاً من تسعينيات القرن العشرين كما مر ذكر ذلك سابقاً، وعقد مؤتمر عن الحوار سنة ٢٠٠٨ م وعمل على التقريب بين المذاهب وذلك بمساندة شخصية دينية سنية عُرف عنه اعتداله وهو الشيخ جمال الدوسري الذي له حضور أيضاً في مشاريع الوحدة الاسلامية، لكن هذه المشاريع التي يقودها الشيخ المالكي –تحديداً– يلاحظ المراقبون في السنوات الخمس الأخيرة لها أن خطابها قد خفت.

الخلاصة إن الزبير حالياً مدينة وظيفية تعمل كمحطة عبور للنفط، وللبضائع، وللعمال، وللمُهجّرين. وحالياً، محكومة بالبقاء في الفراغ الهوياتي بلا مشروع استراتيجي، مجرد محطة اقتصادية.

الخاتمة

تقدم دراسة مدينة الزبير نموذجاً لفهم ديناميات الهوية الثقافية في سياق التحولات السياسية والاقتصادية والديموغرافية، وقد خلصت إلى النتائج الاتية:

أولاً– هوية مدينة الزبير ليست جوهراً ثابتاً، بل نتاج تفاوض مستمر بين جماعات متعددة، بدءاً من الهجرة النجدية الأولى في القرن السادس عشر، الى النزعة الانفصالية مروراً بالصراعات والتفاوض الثقافي، إلى المطالبات المعاصرة بتحولها إلى محافظة، وهذا يعني إن الهوية كانت دائماً موضع صراع وإعادة تعريف .

ثانياً– شكّل المهاجرون النجديون هابيتوساً ثقافياً متميزاً استمر لقرون، لكن مع هجرة النجادة، تفكك الهابيتوس النجدي وظهر هابيتوس بصري متعدد الأطياف.

ثالثاً– مارست النخبة النجدية أشكالاً متعددة من العنف الرمزي، لكن هذا العنف واجهته مقاومات ثقافية أنتجت أشكالاً من التفاوض والاعتراف المتبادل.

رابعاً– موقع الزبير الجغرافي الحدودي جعلها فضاءً لإنتاج هويات هجينة .

خامساً– لم تكن الهوية الثقافية منفصلة عن السياقات السياسية والاقتصادية، والمطالبات المعاصرة بالتحول الى محافظة تعكس استمرار هذا الترابط بين الهوية والسياقات السياسية والاقتصادية.

سادساً– أثبتت التحولات الديموغرافية الجذرية أن الهوية المحلية – مهما كانت متجذرة – قابلة للتفكك والتحول الكامل.

سابعاً– تكشف المطالبات المعاصرة عن تحول في طبيعة الصراع السياسي، فبينما كانت محاولة ١٩٢١ م تستند إلى هوية نجدية متجانسة، فإن المطالبات الحالية تأتي من مجتمع متعدد الأطياف وتستند إلى سردية التهميش .

ثامناً– تقدم حالة مدينة الزبير مساهمات مهمة للدراسات الثقافية، إذ تؤكد الطبيعة الممارساتية والتاريخية للهوية، وتُظهر أهمية الفضاء العام والمكان في إنتاجها .

الهوامش

(١) سايمون ديورنغ، الدراسات الثقافية: مقدمة نقدية، ترجمة ممدوح يوسف عمران، عالم المعرفة، الكويت، يونيو ٢٠١٥م، ص٢٤٥.

(2)Andrew Milner, Re-imagining Cultural Studies: The Promise of Cultural Materialism London: SAGE Publications, 2002, p.3.

(٣) ستيوارت هول، "الدراسات الثقافية وإرثها النظري"، في *غبش المرايا*، إعداد وترجمة وتقديم خالدة حامد ميلانو-إيطاليا: دار المتوسط، ٢٠١٦، ص٥٨.

(4)Chris Barker, The SAGE Dictionary of Cultural Studies London: SAGE Publications, 2004, p.42.

(5)Ibid, p.43.

(6)Ibid, p.42.

(7)Michael Ryan, *Cultural Studies: A Practical Introduction* (Oxford: Blackwell Publishing, 2010), p.429.

(8)Ibid, p.432.

(9)Henri Lefebvre, *The Production of Space*, trans. Donald Nicholson-Smith (Oxford: Blackwell, 1991).

(١٠)علي أبا حسين، لمحة من تاريخ مدينة الزبير (تراجم ووثائق) مؤسسة فخراوي للدراسات والنشر، البحرين، ٢٠٠٩، ص٩ .

(١١) كارستون نيبور، رحلة إلى شبه الجزيرة العربية وإلى بلاد أخرى مجاورة لها، ترجمة عبير المنذر، ج٢ مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ٢٠٠٧، ص١٩١ .

(12)Lefebvre, *The Production of Space*.

(١٣) نيبور، *رحلة إلى شبه الجزيرة العربية*، ص١٩١ .

(١٤) حسين خلف الشيخ خزعل، تاريخ الكويت السياسي، ج الاول، ١٩٦٢، ص٩٣ .

(١٥) يوسف حمد البسام، الزبير قبل خمسين عاماً مع نبذة تاريخية عن نجد والكويت، المطبعة العصرية، الكويت، ١٩٧١، ص١٠٢.

(١٦)عبد العزيز بن ابراهيم بن عبد العزيز الناصر، الزبير وصفحات مشرقة من تاريخها العلمي والثقافي، وهج الحياة للابداع، المملكة العربية السعودية، ط أولى، ٢٠١٠، ص١٧-٢١ .

(١٧) المصدر نفسه، ص٣٧ .

(١٨) يوسف حمد البسام، الزبير قبل خمسين عاماً مع نبذة تاريخية عن نجد والكويت، ص٩٧.

(١٩)عبد الرزاق عبد المحسن الصانع وعبد العزيز عمر العلي، *إمارة الزبير بين هجرتين بين سنتي ٩٧٩هـ-١٤٠٠هـ*، ج١، الكويت ط١ ، ١٩٨٥م، ص٣٣ .

(٢٠) الصانع والعلي، *إمارة الزبير بين هجرتين*، ص٤٥ .

(٢١) الكسندر اداموف، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، ج الاول، ترجمة هاشم صالح التكريتي، دار ميسلون، العراق، ص٧٦ .

(٢٢) شوفاليه، ستيفان، معجم بورديو ، ترجمة عبد الزهرة ابراهيم، النوايا، سوريا، ط أولى،٢٠١٣ص٢٠٧.

(٢٣) عبد العزيز بن ابراهيم بن عبد العزيز الناصر، الزبير وصفحات مشرقة من تاريخها العلمي والثقافي، ص٢٢.

(٢٤) المصدر نفسه، ص ٢٢.

(٢٥)عبد الرزاق عبد المحسن الصانع وعبد العزيز عمر العلي، إمارة الزبير بين هجرتين بين سنتي ٩٧٩هـ-١٤٠٠هـ، ص٤٧ .

(٢٦) داود جاسم الربيعي، *قضاء الزبير (دراسة في الجغرافية البشرية)* (البصرة: منشورات مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، ١٩٧٨)ص١٤٤ .

(٢٧)عبد الرزاق عبد المحسن الصانع وعبد العزيز عمر العلي، إمارة الزبير بين هجرتين بين سنتي ٩٧٩هـ-ص٤٣-٤٤ .

(٢٨) يوسف حمد البسام، الزبير قبل خمسين عاماً مع نبذة تاريخية عن نجد والكويت، ص٧٢.

(٢٩) المصدر نفسه، ص ٧٧ .

(٣٠) أبا حسين، *لمحة من تاريخ مدينة الزبير*، ص١٤١ .

(٣١)عبد الله رمضان آل عيادة الرفاعي، *الزبير بين جيلين من عام ١٩٠٠-٢٠٠٠م* دمشق: تموز للطباعة، ٢٠١٣، ص١٦ .

(٣٢) الكسندر اداموف، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، ص٧٥ .

(٣٣) داود الربيعي، قضاء الزبير(دراسة في الجغرافية البشرية)، ص١٢٥ .

(٣٤) عبدالله خلف، فكرة انفصال البصرة وضعها الإنجليز في أذهان تجارها (٢-٢)، جريدة الوطن الكويتية، ٢٦/١١/٢٠١٣ .

(٣٥) المصدر نفسه.

(٣٦) المصدر نفسه .

(٣٧) ابراهيم فصيح بن السيد صبغة الله الحيدري البغدادي، عنوان المجد في بيان احوال بغداد والبصرة ونجد، دار الحكمة، لندن، ط اولى، ١٩٩٨، ص١٦٦.

(٣٨) باسم حمزة عباس، اسرة ال الزهير البصرية ودورها في البناء الحضاري والتواصل الانساني في فترة التاريخ الحديث، مجلة دراسات تاريخية، العدد اسابع، ايلول ٢٠٠٩، ص٣١ .

(٣٩) ابراهيم الحيدري، عنوان المجد في بيان احوال بغداد والبصرة ونجد، دار الحكمة، لندن، ط الاولى، ١٩٩٨ ، ص١٦٢ .

(٤٠)جعفر عبدالله جعفر التميمي، أمير محمد الكاظمي القزويني ودوره الاجتماعي واثره الفكري في البصرة(١٩١٨–١٩٧١)، رسالة ماجستير–كلية الآداب–جامعة البصرة، ٢٠١٣م، ص ٣٧ .

(٤١) المصدر نفسه، ص٢١ .

(٤٢) عبد الرزاق عبد المحسن الصانع وعبد العزيز عمر العلي، إمارة الزبير بين هجرتين بين سنتي ٩٧٩هـ–١٤٠٠هـ، ص١٣ .

(٤٣) المصدر نفسه، ص٤٧ .

(٤٤) المصدر نفسه ، ص٤٨ .

(٤٥) المصدر والصفحة نفسهما .

(٤٦) داود جاسم الربيعي، *قضاء الزبير*، ص٧٥–٨٠ .

(٤٧) سلمان مغامس عبود، التركيب الوظيفي لمدينة الزبير، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية التربية – جامعة البصرة، ١٩٨٩، ص٤٧.

(٤٨) داود جاسم الربيعي، قضاء الزبير(دراسة في الجغرافية البشرية) ص٧٥–٨٠.

(٤٩) سلمان مغامس عبود، التركيب الوظيفي لمدينة الزبير، ص٤٧.

(٥٠) المصدر نفسه، ص٤٨ .

(٥١) المصدر نفسه، ص ٥٠ .

(٥٢) العنزي، أيام الزبير، أيام الزبير وذكريات الزمن الجميل ، الكويت، ٢٠١٢ .ص٧٢–٧٦ .

(٥٣) علي ابا حسين، لمحة من تاريخ مدينة الزبير (تراجم ووثائق)، ص١١

(٥٤) الرفاعي، *الزبير بين جيلين*، ص٦ .

(٥٥) وثائق.. عشرات البرلمانيين يوقعون على طلب استحداث محافظة الزبير، شفق نيوز، ٢٦ مارس ٢٠٢٥، https://shafaq.com/.

(٥٦) مجلس البصرة يصوّت بالإجماع على رفض تحويل الزبير، موقع الجبال: https://aljeebal.com/posts/5697

(٥٧) الزبير محافظة أم تمرد على البصرة، موقع المسلة.

https://almasalah.com/archives/114588

(٥٨) مقترح تحويل الزبير إلى محافظة يصطدم برفض مجلس البصرة والعيداني.. القصة من الألف الى الياء https://www.infoplusnetwork.com/news/local/%D9%85%D9

(٥٩) حنا بطاطو، العراق (الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية من العهد العثماني حتى قيام الجمهورية)، الكتاب الأول، ترجمة عفيف الرزاز، دار الحياة، مصر، بدون ت. ط.، ص٣٢ . قيس ناصر راهي، العشائرية في البصرة بعد ٢٠٠٣م–فلسفة السياسة مدخلا للفهم–، مجلة دراسات البصرة، السنة العشرون، العدد (٥٩)، حزيران ٢٠٢٥م، ص٣٦٠ .

المصادر

المصادر العربية

١ .إبراهيم فصيح بن السيد صبغة الله الحيدري البغدادي، عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد، دار الحكمة، لندن، ط١، ١٩٩٨.

٢ .الكسندر اداموف، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، ج١، ترجمة هاشم صالح التكريتي، دار ميسلون، العراق.

٣ .باسم حمزة عباس، أسرة آل الزهير البصرية ودورها في البناء الحضاري والتواصل الإنساني في فترة التاريخ الحديث، مجلة دراسات تاريخية، العدد السابع، أيلول ٢٠٠٩.

٤ .جعفر عبدالله جعفر التميمي، أمير محمد الكاظمي القزويني ودوره الاجتماعي وأثره الفكري في البصرة (١٩١٨-١٩٧١)، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة البصرة، ٢٠١٣.

٥ .حسين خلف الشيخ خزعل، تاريخ الكويت السياسي، ج١، ١٩٦٢.

٦- حنا بطاطو، العراق (الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية من العهد العثماني حتى قيام الجمهورية)، الكتاب الأول، ترجمة عفيف الرزاز، دار الحياة، مصر، بدون ت. ط.،

٧ . داود جاسم الربيعي، قضاء الزبير (دراسة في الجغرافية البشرية)، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، ١٩٧٨.

٨ .سايمون ديورنغ، الدراسات الثقافية: مقدمة نقدية، ترجمة ممدوح يوسف عمران، عالم المعرفة، الكويت، يونيو ٢٠١٥.

٩ .سلمان مغامس عبود، التركيب الوظيفي لمدينة الزبير، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة البصرة، ١٩٨٩.

١٠ .ستيفان شوفاليه، معجم بورديو، ترجمة عبد الزهرة ابراهيم، النوايا، سوريا، ط١، ٢٠١٣.

١١. ستيوارت هول، "الدراسات الثقافية وإرثها النظري"، في غبش المرايا، إعداد وترجمة وتقديم خالدة حامد، دار المتوسط، ميلانو–إيطاليا، ٢٠١٦.

١٢. عبد الرزاق عبد المحسن الصانع وعبد العزيز عمر العلي، إمارة الزبير بين هجرتين بين سنتي ٩٧٩هـ–١٤٠٠هـ، ج١، الكويت، ط١، ١٩٨٥.

١٣. عبد العزيز بن ابراهيم بن عبد العزيز الناصر، الزبير وصفحات مشرقة من تاريخها العلمي والثقافي، وهج الحياة للإبداع، المملكة العربية السعودية، ط١، ٢٠١٠.

١٤. عبدالله خلف، فكرة انفصال البصرة وضعها الإنجليز في أذهان تجارها (٢–٢)، جريدة الوطن الكويتية، ٢٠١٣/١١/٢٦.

١٥. عبد الله رمضان آل عيادة الرفاعي، الزبير بين جيلين من عام ١٩٠٠–٢٠٠٠م، تموز للطباعة، دمشق، ٢٠١٣.

١٦. علي أبا حسين، لمحة من تاريخ مدينة الزبير (تراجم ووثائق)، مؤسسة فخراوي للدراسات والنشر، البحرين، ٢٠٠٩.

١٧. العنزي، أيام الزبير، أيام الزبير وذكريات الزمن الجميل ، الكويت، ٢٠١٢ .

١٨. قيس ناصر راهي، العشائرية في البصرة بعد ٢٠٠٣م–فلسفة السياسة مدخلا للفهم–، مجلة دراسات البصرة، السنة العشرون، العدد (٥٩)، حزيران ٢٠٢٥م.

١٩.كارستون نيبور، رحلة إلى شبه الجزيرة العربية وإلى بلاد أخرى مجاورة لها، ترجمة عبير المنذر، ج٢، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ٢٠٠٧.

٢٠ .يوسف حمد البسام، الزبير قبل خمسين عاماً مع نبذة تاريخية عن نجد والكويت، المطبعة العصرية، الكويت، ١٩٧١.

المصادر الأجنبية:

1-Barker, Chris, The SAGE Dictionary of Cultural Studies, London: SAGE Publications, 2004.

2-Lefebvre, Henri, The Production of Space, trans. Donald Nicholson-Smith, Oxford: Blackwell, 1991.

3-Milner, Andrew, Re-imagining Cultural Studies: The Promise of Cultural Materialism, London: SAGE Publications, 2002.

4-Ryan, Michael, Cultural Studies: A Practical Introduction, Oxford: Blackwell Publishing, 2010.

5-Blackwell Publishing, 2010.

المواقع الإلكترونية

١. الجبال، مجلس البصرة يصوّت بالإجماع على رفض تحويل الزبير،

https://aljeebal.com/posts/5697

٢شفق نيوز، وثائق.. عشرات البرلمانيين يوقعون على طلب استحداث محافظة الزبير، ٢٦ مارس ٢٠٢٥،

https://shafaq.com/

Sources

The Arabic Source

1-Aba Hussein, Ali, A Glimpse of the History of the City of Zubayr: Biographies and Documents, Fakhrawiy Foundation for Studies and Publishing, Bahrain, 2009.

2-Abbas, Basim Hamza, "The Al-Zuhayr Family of Basra and Its Role in Civilizational Construction and Human Communication in the Modern Historical Period," Journal of Historical Studies, Issue 7, September 2009.

3-Abboud, Salman Mughames, The Functional Structure of the City of Zubayr, Master's thesis, College of Education, University of Basra, 1989.

4-Adamov, Alexander, The Vilayet of Basra: Its Past and Present, Vol. 1, translated by Hashim Salih al-Tikruti, Dar Maysaloun, Iraq.

5-Al-Anzi, Days of Zubayr and Memories of Beautiful Times, Kuwait, 2012.

6-Al-Bassam, Yusuf Hamad, Zubayr Fifty Years Ago, with a Historical Overview of Najd and Kuwait, Al-Matbaa al-Asriyya, Kuwait, 1971.

7-Al-Haydari al-Baghdadi, Ibrahim Fasih ibn al-Sayyid Sabghat Allah, Title of Glory in Explaining the Conditions of Baghdad, Basra, and Najd, Dar al-Hikma, London, 1st edition, 1998.

8-Al-Khazal, Hussein Khalaf al-Sheikh, The Political History of Kuwait, Vol. 1, 1962.

9-Al-Nasir, Abd al-Aziz ibn Ibrahim ibn Abd al-Aziz, Zubayr and Bright Pages from Its Scientific and Cultural History, Wahj al-Hayat lil-Ibda, Saudi Arabia, 1st edition, 2010.

10- Al-Rifai, Abdullah Ramadan Al Iyadah, Zubayr Between Two Generations: 1900–2000, Tammuz for Printing, Damascus, 2013.

11-Al-Rubayi, Dawud Jasim, The Qadha of Zubayr: A Study in Human Geography, Publications of the Arabian Gulf Studies Center, University of Basra, 1978.

12-Al-Sani, Abd al-Razzaq Abd al-Muhsin, and Abd al-Aziz Umar al-Ali, The Emirate of Zubayr Between Two Migrations: 979 AH–1400 AH, Vol. 1, Kuwait, 1st edition, 1985.

13-Al-Tamimi, Jaafar Abdullah Jaafar, Amir Muhammad al-Kadhimi al-Qazvini and His Social Role and Intellectual Influence in Basra (1918–1971), Master's thesis, College of Arts, University of Basra, 2013.

14-Batatu, Hanna, Iraq: The Social Classes and Revolutionary Movements from the Ottoman Era to the Establishment of the Republic, Book 1, translated by Afif al-Razzaz, Dar al-Hayat, Egypt, n.d.

15-Chevallier, Stéphane, Dictionary of Bourdieu, translated by Abd al-Zahra Ibrahim, al-Nawaya, Syria, 1st edition, 2013.

16-During, Simon, Cultural Studies: A Critical Introduction, translated by Mamduh Yusuf Imran, Alam al-Marifah, Kuwait, June 2015.

17-Hall, Stuart, "Cultural Studies and Its Theoretical Legacy," in The Fog of Mirrors, compiled, translated, and introduced by Khalida Hamid, Dar al-Mutawassit, Milan, Italy, 2016.

18-Khalaf, Abdullah, "The Idea of Basra's Separation Was Planted by the British in the Minds of Its Merchants (2/2)," Al-Watan Kuwaiti Newspaper, 26/11/2013.

19-Niebuhr, Carsten, Travels Through Arabia and Other Countries in the East, translated by Abeer al-Mundhir, Vol. 2, Arab Diffusion Company, Beirut, 2007.

20-Qais Nasir Rahai, Tribalism in Basrah after 2003: A political Philosophucal Approach to Understanding, Basra Studies Journal, No.59, June2025.

Websites in English

1-Al-Jeebal, Basra Council unanimously votes to reject the conversion of Zubair, https://aljeebal.com/posts/5697 2.

2-Shafaq News, Documents: Dozens of MPs sign a request to create Zubair Governorate, March 26, 2025, https://shafaq.com/